الغـــد المحجّب

بقلم عبد المغنى المنشاوى
الأستاذ بدار العلوم

كم سألنا الغدَ ماذا فى الوطَابْ ولسان الغـــد عىٌّ بالجوابْ
وجَهَدْنا أن نرَى صفحتَهُ فتَصَدَّى دُونَنا ألْفُ حجَابْ
عجبًا للغـــد يتلو عجبًا إنما أمرُ غـــدٍ أمرٌ عُجَابْ
كلَّما قلنا ازجرُوا أطيارَه أودعتْ أسرارَه صدر عُقابْ
حَارَ فيه الناس جارًا أعجمًا يحذقُ الصمتَ ولا يدرى الخطابْ
غامض السر وان لامسته تُجْهَلُ الروح وإن مُسَّ الإهابْ
نازلٌ فى كل يوم راحلٌ ما طوى الرحل ولا حط العِيَابْ
يالَهُ ضيفًا قِراهُ أبداً أنفسُ الشيب وأرواحُ الشبابْ
شمسُه يحفر فيها رَمسهُ وكذا الدنيا مَجيءٌ وذهابْ

❁❁❁

مُستَكفٌّ[1] الغدِ رفقًا لم تُصبْ فقُصَارى العَيْنِ منهُ أن تصابْ
جُحر ضبٍّ قد أضبَّت[2] شمسُه هل ترى الزرقاءُ[3] جحرا فى ضبابْ

❁❁❁

إن هـــذَا الغـدَ بحرٌ زاخرٌ لُجّه الصَّابُ أو الشهدُ المُذابْ
همّ فُلْك فطوى آذيَّهُ ومضى آخرُ يطويه العُبَابْ
أو هو الليلُ : نجومٌ تزدهى وشهاب ينتهى إثْرَ شهابْ

(١) استكف الشيء استوضحه بأن وضع كفه على حاجبه كمن يستظل
(٢) أضبت الشمس حجبت بالضباب (٣) زرقاء اليمامة أو العين

أو هو السيفُ : يسوّى نازلاً بين غمدين : قِرابٍ ورقابْ
بَلْ هو الغيبُ المَهُول المرتجَى بل هو الحظ : نعيم أو عذابْ

❁❁❁

كم عروسٍ قَوَّفُوا أثْوَابَها فتولّى غَدُهَا شقَّ الثيابْ
خضبوا بالمسك كفًّا لو دَرَوْا بدّلُوها دمَ دَمْع بالخضابْ
وجَلَوْها شمسَ حسنٍ دَلَكَتْ[1] أكذا كلُّ طلوعٍ لغيابْ
ثم غنّوا لحنَها حتى قضتْ منه نَحْبًا فاذا اللحنُ انتحابْ
زوّجوها القبرَ فى زينتها لتقضّى فيه أوطارَ الشبابْ
ما تراخى القبرُ عن جِلْوتها[2] ملأُ القبرُ يديْها بالترابْ

❁❁❁

وكمىٍّ زلزلت عَزْمتُه ما حَوَى الغابُ وماضمَّ القِرابْ
فابنةُ الريح تراهُ نسرها وتراهُ زيدَها الخيلُ العِرابْ
ينظر الموت مَغيظًا مُشفقا من عُقابٍ تتحاماها العِقابْ[3]
قد طواه الغدُ فى شِكّتِه[4] وذبابُ السيف ماذبَّ الذبابْ

❁❁❁

ومليكٍ بَنَتِ الجنُّ له الْـمُلكَ والريحُ جرتْ حيثُ أصابْ[5]
فاسألوا بِلْقِيسَ مَنْ مِنْ سَبَأٍ أحضرَ العرشَ ومنْ ألقى الكتابْ
ما احتواها الصَّرْحُ حتّى أسلمتْ عزّ من أسلمَ للحقِّ وثابْ
وأجدَّ الغدُ هدمًا فغدا ذلك الصرحُ سواءً واليَبابْ
فسلوهُ هل عدا عمرَ الندى قبلتهُ شفتَا الشمس فذابْ

❁❁❁

(١) اصفرت أو مالت أو زالت عن كبد السماء (٢) الجلوة بالكسر ما يعطى للعروس وقت الجلاء (٣) جمع عقبه (٤) شكته سلاحه (٥) أصاب أراد

كَم أَقَامَ الغد مَا تحتَ الثَّرى وأمالَ الغـدُ ما فوقَ السحاب
فنجا المعتلُّ فى كَبْرَتِه وقضى السالمُ فى شرخ الشبابْ
واستراحَ العبدُ من رِبْقتِه وشكا السيدُ أغـلال الرِقابْ

❁❁❁

ليس يَدْرى العقلُ فى حكمته ألهُ فى الغـدِ حظٌّ من صَوَابْ
ليس يدرى الليثُ فى رِبْضته أيراه الغـدُ ذا ظُفر وناب
ليس يدرى الجيشُ فى عُـدَّته أتقيه فى الغد الحَرْبِ[1] الحِرابْ
ليس يدرى الصبُّ فى خلوته أيديمُ الغـدُ نُعْمَى الاقترابْ
ليس يدرى الثغر فى رِبقَتِه أيلاقى الغـدَ معسولَ الرُّضابْ
ذئبَ ختلٍ لا يُحابى ظُفره من تولَّى عمُرْ حتى الذئابْ

❁❁❁

عالَج الانسانُ أبوابَ العُلاَ وتخطَّاهنَّ بابًا إثْرَ بابْ
ذلك المخلوقُ من طينٍ مضىَ يُنْطِقُ الطينَ ويأتى بالعُجَابْ
خشيته الريح طيرًا بشرًا يزجر الريحَ ويستاقُ السحَابْ
وشكاه النجمُ عينًا رَصدًا ترقبُ النجمَ فلا تُخطى الحسابْ
وسرى فى الكون صوتًا أحداً ليس يثنيه جبالٌ أو هِضابْ
فاذا الدنيا لديهِ رِحـــلةٌ وإذا المِرِّيخ من كفّيه قابْ

❁❁❁

ثم كَان الغـــد طِلَّسْمًا فهل حلَّ ذَا الطلسمَ أو شاب الغرابْ
دقّ باب الغـــد حتى مَسَّهُ دونَ باب الغـد نُصْبٌ وعذابْ
هو بابُ الغيبِ لا يفتحهُ غيرُ مولًى عنده أم الكتابْ

❁❁❁

(١) الحرب الشديد

فاطوِ ذكرَ الغد ياطيف كرًى أسفر الصبحُ لعينيهِ فغابْ
وُلد الناسُ فرِجْلٌ وَطِئتْ هذه الدنيا ورجلٌ فى الركابْ
كل حىّ بعد حين ميتٌ عاشَ عمرَ النسرِ أوعمرَ الحَبَابْ(١)
فاحذر الدنيا ولا تسكُنْ لها ياترابًا ماشيًا فوق ترابْ
ناقةٌ تُنتَجُ آلافا فلا تسأم الوضعَ ولا تبقى السِّقابْ(٢)
حلبُوهَا أشطراً لكنهم لم يُفيدوا الحزم من هذا الحِلابْ
ورأوها جيفةً فاستكلبوا خدِّثُوا الصدقَ أناسٌ أم كلابْ

❁❁❁

إنما الأحياء موتى غَرِقُوا فى ملاهى ذلك العيش الكِذابْ
نومهم موتٌ فإمَّا استيقظوا فشياهٌ نِمْنَ عن خَتْلِ الذئابْ
خطبوا الجِدَّة فى دنيا البلَى نشدوا العمرانَ فى دار الخرابْ
فاسكنوا الدُّور قبورًا زُوِّرَتْ إنما أكفانكم تلك الثيابْ

❁❁❁

ساعةُ الهول أتَتْ أشْرَاطُها أيها الجانى فأيَّانَ المتابْ
قد دعا الحق فلبّ استجبْ يستَمِعْ منكَ الدعاءَ المستجابْ
وارقُبِ الأوْبة واسجدْ واقتربْ فى خشوع فإلى الله المآبْ
لاتقل عتبُك مُرٌّ فاقتصدْ تعذبُ العُتبَى إذا مرَّ العتابْ
لاتهيمَنَّ بأسرارِ غَدٍ ماعهدنا الهيمَ(٣) يُرويها السرابْ
واغتبط واجهلْ مُصابًا فى غَدٍ إنما الحكمة فى جهل المصابْ
أيها الغيبُ عن الناسِ احتجبْ شقَّ عيشُ الناسِ لوشُقَّ الحجابْ

(١) فقاقيع الماء (٢) جمع سقب وهو ولد الناقة (٣) الهيم الابل العطاش